جمع القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام من وجهة نظر المستشرقين وأهل السنة

- بقلم: د. عيسى متقي زادة(*)
- باب الله محمدي نبي كندي(**)
- تعريب: حسن علي مطر

المقدمة:

إن القرآن الكريم يشكل حجر الأساس في الحضارة الإسلامية، وليس هناك شخصية في الإسلام تفوق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام. ومن بين المسائل الهامة فيما يتعلق بسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والقرآن هي مسألة جمع القرآن. وقد كانت هذه المسألة مثار بحث ونقاش مستمر بين علماء الإسلام والمفكرين من المستشرقين في العالم الغربي[1]. من هنا فإن كيفية جمع القرآن الكريم ودراسته دراسة دقيقة تتوقف على تحليل بعض المسائل، وهي كالآتي:

- ما المعنى الذي استعمل فيه مصطلح جمع القرآن؟
- ما رأي المستشرقين في جمع القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام.
- ما الحافز الرئيس الذي يدفع أبا بكر إلى جمع القرآن؟

(*) أستاذ مساعد في جامعة تربيت مدرس في طهران (Emottaqi@yahoo.com).

(**)ماجستير من جامعة علوم ومعارف قرآن كريم في طهران (babbavba@yahoo.com).

ـ ما مقدار صحة تشكيك المستشرقين فيما يتعلق بأحاديث جمع القرآن؟

نسعى في هذا المقال إلى العثور على إجابات لهذه الأسئلة.

بيان المفاهيم:

الجمع في اللغة يعني: ضمّ المتفرّق بعضه إلى بعض، وإلى ذلك يُشير قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**﴾[٢]. كما يعني ضم أجزاء من الشيء إلى بعض آخر، قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: (جمعته فاجتمع)[٣]. ويعني الجمع: جمع الشيء عن تفرّقه، والمجموع: الذي جمع من هنا وهناك وإن لم يُجعل كالشيء الواحد[٤]. وذهب (ثيودور نولدكه) و(فريدريش شيفاللي) من المستشرقين إلى القول بأن معنى الجمع هو الحفظ والأخذ، بمعنى أنه كلما جاء في الروايات بشأن جمع القرآن من قبل الصحابة، كان المراد منه أنهم كانوا يحفظون القرآن أو بعض أجزائه، من دون كتابته وجمعه بين دفتين[٥]. وقد استعمل لفظ الجمع لجمع القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه**﴾[٦]، فيكون معنى الآية: فلا تعجل بتلاوة القرآن، لأننا قد تكفلنا بعملية جمعه وربطه ببعضه وقراءته ولن يفوت عنك شيء منه أبداً[٧].

الآراء بشأن جمع القرآن الكريم:

هناك بهذا الشأن رأيان:

أ ـ جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وآله من وجهة نظر أهل السنة.

يذهب أكثر علماء أهل السنة إلى الاعتقاد بأن القرآن لم يتمّ تدوينه وجمعه في كتابٍ رسميٍّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن لدى الصحابة آنذاك كتاباً مجموعاً بين

دفتين، وإن كان مكتوباً في صحف متفرقة[٨]. قال الخطابي: (إنما لم يجمع القرآن في المصحف؛ لما كان يترقّب من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته)[٩]. [فكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على الدوام بانتظار وحي جديد، ولم يحصل في حياته على فرصة ينقطع فيها الوحي ليأمر فيها كتّاب الوحي بكتابة القرآن وتدوينه وترتيبه في ضمن مصحف واحد أبداً]. وقال الطبري أيضاً: [(كان القرآن متفرقاً حتى عهد أبي بكر وعثمان، ولم يكن مرتباً أو منظماً على شكل مصحف واحد)][١٠]. وقال الزركشي [ما معناه]: (بعد رحيل النبي أخذ الصحابة يجمعون القرآن من العُسُب واللخاف والرقاع والأكتاف وصدور الرجال)[١١].

ب ـ جمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وآله من وجهة نظر المستشرقين:

ذهب أكثر المستشرقين ـ تبعاً لأهل السنة ـ إلى الاعتقاد بعدم جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وآله بشكلٍ كاملٍ، ولم يتمّ جمعه في مصحف. وفيما يأتي نستعرض أشهر آرائهم، ومن ثمّ نناقشها تباعاً:

١ ـ ثيودور نولدكه:

يذهب ثيودور نولدكه إلى القول بأن نظريات القرآن عند المسلمين على ثلاثة أقسام:

أ ـ جمع القرآن على عهد أبي بكر.

ب ـ جمع القرآن على عهد عمر.

ج ـ بداية جمع القرآن على عهد أبي بكر ونهايته على عهد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان.

وقال: إن القرآن لا يمكن أن يكون قد جُمع في عهد النبي[١٢].

٢ ـ ريجي بلاشير:

يذهب بلاشير إلى الاعتقاد بأن تاريخ القرآن وتطوّر العلوم القرآنية كان رهناً

بثلاثة عوامل:

أ ـ استخدام خط بدائي لكتابة القرآن.

ب ـ ضياع نسخة من الوحي تمت كتابتها بإشراف شخصي من النبي محمد صلى الله عليه وآله.

ج ـ بالالتفات إلى ما تقدم، يثبت ضعف الكتابة، وضياع النص الثابت، والاعتماد على الحفظ من الذاكرة والنقل مشافهة[١٣].

وبذلك فقد عمد ريجي بلاشير إلى ملاحظة ضعف الكتابة، وضياع النص الثابت، والتعويل على الذاكرة والرواية الشفهية، ومن ثمّ لا يُشير في استنتاجه إلى جمع القرآن بمعنى الكتاب المدوّن والمجموع بين الدفتين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ مونتغمري وات:

كان مونتغمري وات مستشرقاً إنجليزياً، وقد تحدث في آخر كتاب له عن خلاصة ما توصّل إليه بشأن الدراسات الإسلامية؛ فقال: لقد بذل المسلمون اهتماماً وافراً وجاداً من أجل جمع القرآن، فكانوا يبادرون إلى كتابة الآيات فور نزولها، حتى تمّ لهم جمعه عام ٦٥٠ للميلاد رسمياً[١٤].

وبذلك يكون مونتغمري وات قد وضع نظرية جمع القرآن بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن عام ٦٥٠ للميلاد يصادف السنة التاسعة والعشرين للهجرة، أي بعد مضي ثماني عشرة سنة على رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ ـ آرثور جيفري:

ذهب آرثور جيفري إلى القول بأن أبا بكر هو أول من كتب القرآن على صحف كبيرة. ثم قام عثمان بنشر هذه المصاحف بغية توحيد القراءات على قراءة واحدة[١٥].

٥ ـ إجناتس جولد زيهر:

يذهب علماء من أمثال إجناتس جولد زيهر وشاخت إلى القول بعدم اعتبار

كثير من روايات جمع القرآن، وعدّها فاقدة للقيمة التاريخية. ولم يشككوا في صدور القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وآله، وعدّوه من أهم مصادر سيرته[١٦].

٦ ـ جوزيف شاخت:

عمد جوزيف شاخت ـ تبعاً لنظرية إجناتس جولد زيهر ـ إلى التأكيد على وضع روايات جمع القرآن بشكل أشد[١٧].

٧ ـ جون ونز برو:

بدأت موجة القول بوضع روايات جمع القرآن بإجناتس جولد زيهر، لتنحسر بعد جوزيف شاخت، لتعود إلى الظهور مرّة أخرى في نهاية عقد السبعينات في مؤلفات جون ونز برو. حيث ذهب إلى رفض تدوين القرآن وجمعه[١٨]. وقد ذهب ونز برو فيما يتعلق بالشكل النهائي لنص القرآن إلى القول بأنه تكامل على نحو تدريجي مواكباً تكوين المجتمع خطوة بخطوة. وبذلك شكلت نهاية القرن الهجري الثاني (الموافق للقرن الثامن للميلاد) من الناحية التاريخية أرضية مناسبة لجمع السنة الشفهية والتعاليم الدينية[١٩]. وهكذا نجد أن جون ونز برو مثل سلفيه المستشرقين (أعني جولد زيهر وشاخت) في الاعتقاد بوضع روايات جمع القرآن، وقد ذهب إلى القول بأن تاريخ جمع القرآن وتدوينه يعود إلى الأجيال التي جاءت بعد عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

مناقشة وتحليل:

◙ التحليل الأول: جمع القرآن الكريم في عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

أ ـ إن المرحلة الأولى من جمع القرآن قد تمثلت بحفظه في الصدور، وقد بدأت هذه المرحلة بشخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن ثمّ عمد النبي إلى قراءة القرآن على الناس[٢٠]. وقد ارتضى أهل السنة والمستشرقون هذه المرحلة أيضاً.

ب ـ كتابة القرآن الكريم: عهد النبي الأكرم ﷺ في هذه المرحلة بكتابة القرآن إلى الذين يعرفون القراءة والكتابة من الصحابة[٢١]. بمعنى أنه عندما كانت تنزل سورة من القرآن، كان النبي يجمع كتّاب الوحي ويأمرهم بكتابتها بعد هذه السورة أو تلك[٢٢].

أدلة جمع القرآن الكريم في عصر النبي ﷺ على شكل كتاب بين دفتين:

هناك أدلة على جمع القرآن الكريم في عهد النبي الأكرم ﷺ على شكل كتاب مدوّن، ونشير إلى بعض تلك الأدلة على النحو الآتي:

١ ـ حديث الثقلين: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ الله وَعِتْرَتِي ...**». وهو حديث متواتر بين الفريقين من أهل السنة والشيعة[٢٣]. ولا يمكن أن يكون المراد من الكتاب في هذا الحديث الأوراق المتفرّقة بين أيدي الصحابة؛ وذلك لعدم إطلاق الكتاب على الأوراق المتناثرة.

٢ ـ ختم القرآن: كان بعض الصحابة، من أمثال: عبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب يختمون القرآن على رسول الله ﷺ[٢٤]. روي في البخاري حديثٌ مضمونه أن النبي ﷺ قد أمر عبد الله بن عمرو بن العاص بأن يختم القرآن في كل سبع ليال [أو ثلاث]، وذلك إذ قال له النبي ﷺ: (كيف تختم؟)، قال: كلّ ليلة. قال ﷺ: (... إقرأ القرآن في كل شهر).. قلت: أطيق أكثر .. قال ﷺ: (... إقرأ في كل سبع ليالٍ مرّة).. [قال أبو عبد الله: وقال بعضهم: في ثلاثٍ، وفي خمسٍ. وأكثرهم على سبعٍ][٢٥].

إن ختم القرآن في هذه الرواية يُثبت أن القرآن كان مدوناً على شكل كتاب في حياة النبي الأكرم ﷺ.

٣ ـ وجود كثير من المصاحف في حياة النبي الأكرم ﷺ، منها: مصحف عبدالله بن مسعود، ومصحف أبيّ بن كعب، و....، مما يُثبت أن القرآن الكريم كان موجوداً على شكل كتاب عند بعض الصحابة في الحدّ الأدنى.

٤ ـ ذهب جون بارتون إلى القول بأن القرآن كان مجموعاً في حياة النبي ﷺ. ويمكن الالتزام بهذا القول ولكن لا على أساس الأدلة التي ذكرها في تحقيقاته، وإنما على أساس الأدلة والشواهد التي أقامها بعض علماء المسلمين في هذا الشأن. فقد ذهب بعض المحققين المسلمين من أمثال: السيد المرتضى، والسيد جعفر مرتضى العاملي، وآية الله الخوئي، إلى القول بتدوين القرآن الكريم في عصر النبي الأكرم ﷺ، وقد أقاموا لإثبات هذا القول شواهد وأدلة عقلية وتاريخية وروائية وقرآنية(٢٦).

يتضح مما تقدم أن العقل لا يستسيغ القول بنزول القرآن على النبي الأكرم ﷺ وإهمال النبي له وعدم الاهتمام في إيصاله إلى الناس بالشكل الصحيح. وعليه لا يكون ما ذهب إليه المستشرقون وأهل السنة في هذا الشأن صحيحاً، على الرغم من أنّ بعضهم يقرّ بجمع القرآن في عهد النبي الأكرم ﷺ ولكن على أوراق متناثرة ومتفرّقة.

الثاني: دراسة موقف المستشرقين:

عمد بعض المستشرقين إلى نقد آراء نظرائهم من المستشرقين الآخرين فيما يتعلق بجمع القرآن، وفيما يأتي نشير إلى هذه الانتقادات:

١ ـ ذهب جون بارتون ـ خلافاً لأكثر المستشرقين ـ إلى القول بجمع القرآن في عهد النبي الأكرم ﷺ. وإن أهم ما في نظريته هو أن القرآن الموجود حالياً بين أيدينا هو نفسه الذي كان موجوداً في حياة النبي ﷺ، وأنه قد تمّ تدوينه من قبل النبي نفسه(٢٧). وقد ذهب إلى الاعتقاد بأن الروايات التي تصرّح بجمع القرآن بعد رحيل النبي الأكرم ﷺ موضوعة من قبل بعض فقهاء المسلمين. فإن هؤلاء الفقهاء لكي

يدعموا آراءهم وأحكامهم الفقهية التي لا يوجد لها سند من القرآن والمصحف الراهن، عمدوا إلى اختلاق مسألة النسخ ومصاحف الصحابة(٢٨).

٢ ـ قال وليم غراهام: يجب علينا من الناحية العملية أن نعتقد بنظرية تاريخ المؤامرة، كي ندرك وضع الحجم الكبير من المصادر المدوّنة ومن بينها الكتاب السماوي (القرآن) في القرن الثالث. وأضاف قائلاً: على الرغم مما قام به وينز برو من نظريات وآراء بديعة في بحثه، إلا أنه لم يوضح لنا ضرورة أن يتأخر التأليف النهائي للقرآن ثمانية أجيال، وليس جيلاً واحداً!.. وتأتي آراء وينز برو في إطار النظرة التقليدية العريقة في دراسة الشرق والتي تصرّ على الدوام في البحث على منشأ يهودي للتعاليم والمفاهيم الإسلامية(٢٩).

٣ ـ وينبول: مستشرق هولندي. وعلى الرغم من أنه يعدّ نفسه امتداداً لجوزيف شاخت وإجناتس جولد زيهر، إلا أنه يوجّه سهام نقده إليهما فيما يتعلق بتشكيكهما في صحة الأحاديث. وقد ذهب إلى الاعتقاد بأن روايات جمع القرآن تعود إلى نهاية القرن الأول(٣٠).

٤ ـ هارولد موتسكي. وهو من أشدّ المنتقدين للمستشرقين السابقين في دائرة علوم القرآن والحديث، وقد ذهب إلى حد القول بأن منهجهم في ذلك خاطئ من الأساس. وقال موتسكي: إن محمد بن شهاب الزهري (المتوفى سنة ١٢٤ للهجرة) هو المصدر الحقيقي لتلك الأحاديث. وذهب إلى الاعتقاد بأن رواية جمع أبي بكر كانت شائعة في الربع الأول من القرن الثاني. وعليه يمكن لنا أن نتصور بأن جمع القرآن كان شائعاً في نهاية القرن الهجري الأول(٣١). واستطرد قائلاً: لا نستطيع إثبات أن الروايات المرتبطة بتاريخ القرآن تعود إلى شهود عيان للوقائع، ولايمكن لنا الاطمئنان إلى أن المسائل قد حصلت كما جاء في الروايات. بيد أن تقرير المسلمين أقدم بكثير، ومن ثَمّ فإنّه أقرب إلى الوقائع من التاريخ الذي كان الدارسون للشرق يعتقدونه، ويجب القول: إن النظريات الغربية في هذا الشأن بعيدة غاية البعد عن الحقيقة(٣٢).

تقييم جمع القرآن من قبل أبي بكر

ينسب المستشرقون وأهل السنة أول عملية لجمع القرآن الكريم وتدوينه إلى الخليفة الأول أبي بكر. وقد ذهب المستشرقون إلى هذه النظرية تبعاً لشيخ المستشرقين الألمان ثيودور نولدكه. قال جون بورتن: بعد أن عمد الفقهاء ـ من خلال استدلالهم على مسألة النسخ ـ إلى إلغاء دور النبي ﷺ من عملية جمع القرآن، ونسبوا عملية الجمع إلى المرحلة التي أعقبت رحيله، واجهوا السؤال القائل: إذا لم يكن النبي هو الجامع للقرآن، فمن هو الذي قام بعملية جمع القرآن الذي بين أيدينا؟(٣٣)

وقد عمد أهل السنة من أجل التأكيد على هذا الرأي (جمع القرآن من قبل أبي بكر) إلى رواية أحاديث تقول: (إن أبا بكر هو أول من جمع المصحف)(٣٤).

مناقشة:

إن الذي يمكن قوله بضرس قاطع هو أن استشهاد الحفّاظ للقرآن في حرب اليمامة لا يمكن له أن يشكل الذريعة الرئيسة لأبي بكر في الدعوة إلى جمع القرآن؛ وذلك لوجود صحابة آخرين حافظين للقرآن من أمثال: أبيّ بن كعب في دمشق، أو المقداد في حمص، وآخرين ... وكان لدى كلّ واحدٍ منهم مصاحف، يُضاف إلى ذلك أزمة خلافة النبي الأكرم ﷺ التي تعرض لها المسلمون مؤخراً وكانت تشغل حيّزاً كبيراً من اهتمام الخليفة، وتجعل من أمر جمع القرآن آخر اهتماماته. ولكن من ناحية أخرى كان الإمام علي عليه السلام قد جمع القرآن بأمر من النبي الأكرم ﷺ. وعليه لا بد من التغطية على هذه الفضيلة وطمسها بنحو من الأنحاء. وبذلك فقد بادروا إلى القيام بعمل من عند أنفسهم، فعمدوا في المرحلة الأولى إلى جمع القرآن وتدوينه مجرّداً من أيّ تفسير(٣٥). من هنا نتوصل إلى دليلين:

١ ـ جمع القرآن مجرّداً عن أيّ نوع من أنواع التفسير.

٢ ـ افتعال فضيلة للخليفة في حفظ القرآن الكريم.

بيد أن هذا الجمع غير قابل للإثبات حتى بالدليل العقلي؛ وذلك لأن المسلمين لو كانوا بحاجة إلى قرآن مجموع حقيقة لما تحوّل هذا القرآن إلى مصحف خاص لأبي بكر، ولما أضحى داخلاً في ضمن ممتلكاته الشخصية، فبقي عنده حتى النهاية ولم ينعم المسلمون بثمار هذا المجهود الذي بذلته الحكومة في عهد الخليفة الأول. وعليه لا نستطيع القول باعتبار جمع للقرآن تحقق في عهد الخليفة الأول بوصفه أول من جمع القرآن، بل إن الذي تولى القيام بهذه المهمة الخطيرة هو شخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حياته.

تقييم جمع القرآن من قبل الإمام علي عليه السلام:

أ ـ نقد نظرية أهل السنة:

١ ـ ذهب أهل السنة إلى القول بأن أبا بكر هو أول من جمع القرآن، وقاموا من ناحية أخرى برواية أحاديث بشأن جمع الإمام علي عليه السلام للقرآن أيضاً، فوقعوا لذلك في مشكلة التوفيق بين هاتين الطائفتين من الروايات المتضاربة، فعمد بعضهم من أمثال أبي بكر الجوهري وابن حجر العسقلاني إلى التوفيق بينهما من خلال القول بأن المراد من جمع القرآن هو حفظه[٣٦].

٢ ـ روى علماء أهل السنة حديث جمع القرآن من قبل الإمام علي عليه السلام من طريق ابن سيرين، الذي ذهب إلى الاعتقاد بأن جمع القرآن على يد الإمام علي عليه السلام قد جاء في سياق تبرير عدم بيعة الإمام علي عليه السلام لأبي بكر بن أبي قحافة، ومن ثَمّ كان الدافع وراء ذلك عدم رضاه عن خلافته[٣٧].

ب ـ نقد نظرية المستشرقين

في هذا القسم نستعرض رأي علمين من أعلام الاستشراق في هذا المجال، وهما:

١ ـ ثيودور نولدكه:

ذهب ثيودور نولدكه إلى عدم جمع القرآن وتدوينه من قبل الإمام علي عليه السلام، وقال: (تقول روايات مختلفة إن علياً بن أبي طالب .. كان وراء جمع القرآن.. لكي يأخذ الكرامة من أبي بكر .. لا شيء من الصحّة في هذا كله. فمصادر هذه الأخبار تفاسير قرآنية شيعية وكتب تاريخية سنية ذات أثر شيعي مشكوك بأمرها، ذلك أن كل ما يرويه الشيعة عن وليّ شيعتهم الأعلى غير موضوعي ومنحاز بجملته)(٣٨).

٢ ـ ريجي بلاشير:

قال ريجي بلاشير: إن موقف الخوارج والشيعة هو الذهاب إلى القول من دون شك في أنّ علياً قد اهتمّ بهذا الأمر في حياة النبي قبل أيّ شخص آخر من الصحابة. بيد أن هذا التأكيد مقرون بالشك والتردّد. ومع ذلك فإن أهل السنة يعترفون بمصحفه، ولكنهم يرون أن هذه العملية قد تمّت بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، وذلك عندما اعتزل السلطة. والعجيب أننا لا نعثر على شيء من هذا المصحف، ونجد تسارعاً وإقبالاً من قبل الشيعة على مصحف عثمان والتزاماً به(٣٩).

مناقشة:

يذهب الشيعة إلى الاعتقاد بأن الإمام علي عليه السلام هو أول من بادر إلى جمع القرآن الكريم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. قال العياشي في تفسيره: أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام أن لا يخرج بعد رحيله من بيته لغير الصلاة، حتى يجمع كتاب الله(٤٠).

وقال ابن النديم أيضاً: إن الإمام علي عليه السلام قد آلى على نفسه بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن لا يرتدي برداء ولايخرج من بيته إلا لصلاة، حتى يجمع القرآن؛ فلزم داره حتى جمع القرآن(٤١).

وحيث أن الإمام علي عليه السلام عمد إلى جمع القرآن على ترتيب نزوله، فقد كان هذا

القرآن متميّزاً وفريداً من نوعه، ومن هنا كان منذ البداية محط الأنظار بشكل خاص. حتى قال الإمام علي عليه السلام: (ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أقرأنيها وأملاها عليّ؛ فأكتبها بخطي[٤٢]، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها)[٤٣].

خصائص مصحف الإمام علي عليه السلام :

١ ـ فيه كل ما نحتاج إليه، حتى الأرش في الخدش[٤٤]. بمعنى أنه كان يشتمل على بعض التوضيحات والتفاسير.

٢ ـ لقد أملي باطن هذا المصحف على الإمام علي عليه السلام من قبل النبي صلى الله عليه وآله، وظاهره من قبل جبرائيل عليه السلام [٤٥]. بمعنى أن إيضاحاته التفسيرية قد اشتملت على روايات باطنية مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ إن الزيادات الموجودة فيه قد تمّت من قبل الوحي[٤٦]. بمعنى أنها جاءت في إيضاح تلك الروايات.

٤ ـ ذكر فيه أسماء أهل الحق وأهل الباطل[٤٧]. بمعنى أن الإيضاحات التفسيرية قد اشتملت على مصاديق لبعض الآيات.

٥ ـ إنه قد جمع على أساس ترتيب النزول[٤٨].

مآل مصحف الإمام علي عليه السلام :

يتضح لنا من مجموع الروايات بهذا الشأن أن الإمام علي عليه السلام بعد أن أكمل جمع القرآن لفه في رداء أصفر وجاء به إلى المسجد وخاطب الناس قائلاً: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي. وهذا كتاب الله وأنا عترته). فقام الخليفة الثاني وقال: إذا كان عندك قرآن، فعندنا قرآن مثله، ولا حاجة لنا بك ولا بقرآنك.

وبطبيعة الحال هناك روايات أخرى تذكر أن السبب الرئيس الكامن وراء رفض جمع الإمام علي عليه السلام ومصحفه، هو اشتماله على هوامش وتفسير لم يعجب السلطة الحاكمة. بيد أنه حتى لو تمّ التشكيك في الحديث المتعلق بجمع الإمام علي عليه السلام للقرآن، لا يمكن لنا من الناحية العقلية أن نفهم كيف يكون لصحابة مثل أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود قرآن، ولا يكون للإمام علي مثل هذا القرآن وهو الذي كان أشدّ لصوقاً بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبالقرآن الكريم من بين سائر الصحابة، حتى وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: (علي مع القرآن، والقرآن مع علي).

كما يبدو التهافت والتناقض واضحاً في كلمات أهل السنة في هذا الشأن، كما هو الحال بالنسبة إلى المستشرقين أيضاً، فها هو المستشرق الألماني ثيودور نولدكه في الموضع الذي يُنكر فيه وجود مصحف للإمام علي عليه السلام، يعود في ذات الموضع ليتحدث عن ترتيب السور في مصحف الإمام علي عليه السلام (٤٩).

الاستنتاجات:

استناداً لما تقدم يمكن لنا أن نتوصّل إلى النتائج الهامة الآتية:

١ ـ إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هو أوّل من جمع القرآن الكريم. وفضلاً عن ذلك يشكل حديث الثقلين أهم الأدلة على وجود القرآن في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ضمن كتاب مدوّن بين دفتين.

٢ ـ يمكن لنا أن نستبين بعض الخبث في دراسات المستشرقين. فإنهم تبعاً لأهل السنة لا يرون أيّ فضيلة للإمام علي عليه السلام فيما يتعلق بجمع القرآن الكريم. في حين هناك روايات مستفيضة يتداولها العلماء من الفريقين بشأن مصحف الإمام علي عليه السلام وعدِّه من قبلهم أول من جمع القرآن الكريم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على الرغم من اختفاء هذه الحقيقة خلف ستارة تاريخية سميكة.

٣ ـ لقد كان القرآن الذي جمع في عهد أبي بكر خالياً من أي تفسير أو تهميش، وكانت الغاية من وراء جمعه سياسية بحتة.

٤ ـ إنّ التشكيك في روايات جمع القرآن الكريم من قبل بعض المستشرقين غير وارد؛ إذ إنّ علماء المسلمين (من أهل السنة)، وبعض المستشرقين، يرون جمعاً للقرآن الكريم في الحد الأدنى وينسبونه إلى الخليفة الأول.

* هوامش البحث *

(١) انظر: محمود راميار، تاريخ قرآن، ص ٢٨٠ ـ ٢٩٠، وص ٢٩٤ ـ ٢٩٥؛ ومحمد باقر حجتي، پژوهشى در تاريخ قرآن كريم، ص ٢٢١؛ ومير محمدي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ص ١٠٥ ـ ١٠٦، وص ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) الكهف: ٩٩. انظر: القرشي، قاموس القرآن، ج ١، ص ٤٧.

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج ١، ص ٤٠٩.

(٤) انظر: ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، ج ١، ص ٤٥٨، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٩٧.

(٥) انظر: محمود راميار، تاريخ قرآن، ص ٢١١.

(٦) القيامة: ١٦ ـ ١٧.

(٧) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ١١٠.

(٨) انظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٠٢.

(٩) انظر: المصدر أعلاه، ج ١، ص ٩٨ ـ ٩٩.

(١٠) انظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق النديم، كتاب الفهرست، ص ٤٢.

(١١) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٥ ـ ٣٠٠.

(١٢) انظر: ثيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص ٢٥٢.

(١٣) بلاشير، ريجي، در آستانه قرآن، ص ١٥.

(١٤) وات، مونتغمري، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ص ١٢٨.

(١٥) انظر: ابن أبي داود، المصاحف، ص ٥.

(١٦) Motzki, The Collection of the Quran, p ٤.

(١٧) Schacht, The Origins of Muhammad Jurisprudence, p ٤.

(١٨) انظر: كريمي نيا، مرجع مطالعات قرآن در غرب، ص ١١٨ ـ ١٢٠.

(١٩) انظر: المصدر أعلاه، ص ١٤٦.

(٢٠) انظر: محمود راميار، تاريخ قرآن، ص ٢٢١.

(٢١) انظر: المصدر أعلاه، ص ٢٢٧.

(٢٢) انظر، الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

(٢٣) انظر: الزنجاني، عبد الله، تاريخ القرآن، ص ٥٠.

(٢٤) انظر: مير محمدي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ص ١٢٦.

(٢٥) انظر: أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، ص ٦٢٨ ـ ٦٢٩، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ٢٠٠٨.

(٢٦) انظر: الخوئي، أبو القاسم، ص ٢٦٩ ـ ٢٧١؛ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٣ ـ ١٩٣.

(٢٧) Burton, The Collection of the Quran, p ٢٤٠ - ٢٣١.

(٢٨) see. Ibid, p. ١٨-١٩, ١٣٤, ١٦٠-١٦٦,١٧٤-١٨٧, ١٩٧-١٩٩.

(٢٩) Ibid, p. ١٢٧.

(٣٠) Berg, The Development of Exegesis in Early Islam, p. ٢٧- ٢٩.

(٣١) انظر: موتسكى، جمع قرآن، ص ٢٧ ـ ٢٩.

(٣٢) انظر: المصدر أعلاه، ص ٣١.

(٣٣) Burton, The collection of the Quran, p. ٢٣١-٢٤٠.

(٣٤) العاصمى، مقدمتان فى علوم القرآن، ص ٢٣.

(٣٥) انظر: راميار، محمود، جمع قرآن، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢.

(٣٦) انظر: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ١٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٣٩٨.

(٣٧) انظر: فرشجيان، بررسي دو شبهة در باره مصحف امام علي (عليه السلام)، ص ١٣٨.

(٣٨) انظر، نولدكه، ثيودور، تاريخ القرآن، ص ٢٤٤.

(٣٩) بلاشير، ريجي، در آستانه قرآن، ص ٥٩ ـ ٦١.

(٤٠) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٥٢.

(٤١) ابن النديم، الفهرست، ص ٤٧ ـ ٤٨.

(٤٢) انظر: راميار، محمود، تاريخ قرآن، ص ٣٦٧.

(٤٣) انظر: العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٢٦؛ وانظر أيضاً: البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٠ ـ ٤١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، بيروت، ١٩٩٩.

(٤٤) العسكري، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٤٥) البحراني، مدينة المعاجز، ج ٢، ص ١٨٧.

(٤٦) الحسيني، معروف، دراسات في الحديث والمحدّثين، ص ٣٥٢.

(٤٧) الكاشاني، الصافي في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٥.

(٤٨) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٨.

(٤٩) نولدكه، ثيودور، تاريخ القرآن، ص ٢٤٤.

***